

حول التكتلات

فلاديمير ايليتش لينين

ترجمة: عبد المطلب العلمي

يسمي تروتسكي مجلته الجديدة (باللاتكتلية). و يضع هذه الكلمة في صدارة الاعلانات، مؤكدا بكافة الوسائل عن ذلك، سواء في مقالات هيئة تحرير(بوربا) او مقالات هيئة تحرير الجريدة التصفوية (سيفيرنايا رابوتشايا غازيتا)، التي ظهرت فيها مقالته حول (بوربا) قبل صدورها.

فما هي هذه (اللاتكتلية)؟

(مجلة العمال) هي مجلة تروتسكي للعمال، لانه لا يوجد اثر فيها لا لمبادرة عمالية و لا لصلة مع المنظمات العمالية. راغبا في ان يكون مشهورا، يشرح تروتسكي للقراء في مجلته التي هي للعمال معني (القوه الفاعلة) و (الاراضي) الخ. حسن جدا، لماذا لا يشرح ايضا للعمال كلمه (اللاتكتلية)؟ فهل هي مفهومه اكثر من (القوه الفاعلة) و (الاراضي)؟

لا، السبب ليس هنا. السبب هو ان اسوأ ممثلي اسوأ بقايا التكتل يضللون جيل العمال الشباب. يجب التوقف هنا لشرح هذا.

في حقبة تاريخية معينة كانت التكتلات هي الصفة المميزة للحزب الاشتراكي الديمقراطي. اية حقه هذه؟ انها من ١٩٠٣ الى ١٩١١.

لشرح جوهر التكتل بشكل واضح، يجب تذكر ظروف عامي ١٩٠٦ - ١٩٠٧. حينها كان الحزب موحدا، و لم يكن قد حدث الانشقاق، لكن كان في الحزب تكتل. في الواقع كان في الحزب الموحد، كتلتان منظمتان مختلفتان. المنظمات العمالية القاعدية، كانت موحدة، لكن في كل مسألة مهمة كانت الكتلتان تضعان تكتيكان مختلفان. المدافعون عن كل اتجاه كانوا يتجادلون في المنظمات العمالية الموحدة

[على سبيل المثال عند مناقشة شعار وزارة من نواب الدوما (اي وزارة من الكاديت) عام ١٩٠٦ او اثناء انتخاب مندوبي مؤتمر عام ١٩٠٧] و المسائل كانت تحل حسب الاكثرية؛ احدى الكتلتين انهزمت في مؤتمر ستوكهولم الموحد ١٩٠٦، الاخرى انهزمت في مؤتمر لندن الموحد ١٩٠٧.

هذه – حقائق معروفة للجميع من تاريخ الماركسية المنظمة في روسيا.

يكفي تذكر هذه الحقائق المعروفة للجميع لرؤية الكذب الصارخ الذي يروجه تروتسكي.

منذ عام ١٩١٢، اي لمدة تزيد عن سنتين، لا يوجد في روسيا تكتلات بين الماركسيين المنظمين. لا يوجد خلافات على التكتيك في المنظمات و الكونفرنسات و المؤتمرات الموحدة. هناك قطيعة تامة بين الحزب و التصفيين، اعلن الحزب رسميا في كانون الثاني عام ١٩١٢ ان التصفيين لا ينتمون اليه. في احيان كثيرة يسمى تروتسكي هذا الوضع (انشقاق)، حول هذه التسمية سوف نتحدث بشكل خاص ادناه. لكن يبقى غير مشكوك في ان كلمة (تكتل) تتعارض مع الحقيقة.

هذه الكلمة، كما قلنا سابقا، هي تكرار، تكرار لا انتقادي، و غير حكيم و بدون معنى لما كان صحيحا بالامس، اي في حقبة ماضية. و عندما يتحدث تروتسكي عن (فوضى الصراع التكتلي) [انظر العدد الاول ص ٥ و ٦ و كثير غيرهما]، يصبح واضحا في الحال عن اي ماضٍ خلى يتكلم لسانه.

انظروا الى الوضع الحالي من وجهة نظر العمال الروس الشباب المشكلين لتسعة اعشار الماركسيين المنظمين في روسيا. انهم يرون ثلاثة عروض جماهيرية لوجهات نظر او تيارات متباينة في الحركة العمالية (البرافديون) الملتقون حول جريدة تطبع ٤٠٠٠٠ نسخة، التصفيون (١٥٠٠٠ نسخة) و اليساريون الشعبيون (١٠٠٠٠ نسخة). عدد النسخ يوضح للقارئ الطابع الجماهيري لكل خطاب منهم.

نتساءل ما دخل (الفضى) هنا؟ تروتسكي يحب العبارات الرنانة الفارغة - هذا امر معروف، لكن كلمة (فضى) ليست فقط عبارته بل هي نقل (او على الاصح محاولة نقل فاشلة) الى الارض الروسية المعاصرة، علاقات اجنبية من حقبة ماضية. هذا هو جوهر المسألة.

ليس هناك اي (فضى) في نضال الماركسيين ضد الشعبين. حتى تروتسكي - كما امل - لن يجرؤ على زعم ذلك. ان نضال الماركسيين ضد الشعبين يجري منذ اكثر من ثلاثين عاما، منذ ولادة الماركسية. سبب هذا النضال - هو الاختلاف الجذري في وجهات نظر و مصالح طبقتين مختلفتين، البروليتاريا و الفلاحين. (الفضى) اذا كان لها وجود، فهي فقط في رؤوس غريبو الاطوار الذين لا يفهمون ذلك.

اذن ماذا يبقى؟ (فضى) صراع الماركسيين ضد التصفيين؟ مرة اخرى هذا غير صحيح، لانه لا يمكن تسميه فضى، النضال ضد تيار، اعتبره الحزب باجمعه تيارا و استنكره منذ عام ١٩٠٨. و كل غير مكترث بتاريخ الماركسية في روسيا، يعرف ان التصفوية مرتبطة بلا انفصام، حتى على مستوى القاده و الاعضاء مع المنشفية (١٩٠٣ - ١٩٠٨) و مع الاقتصادية (١٨٩٤ - ١٩٠٣). اذن امامنا تاريخ عشرون عاما تقريبا. اعتبار تاريخ الحزب (فضى) يعني ان في راس ذلك الانسان فراغ لا يغتفر.

لكن لننظر الى الوضع الحالي من وجهة نظر باريس او فينا. فسيغير كل شئ رأسا. ما عدى (البرافديين) و (التصفويين)، يوجد ما لا يقل عن خمسة (كتل) روسية، اي مجموعات منفصلة ترغب في نسب نفسها الى الحزب الاشتراكي الديمقراطي: مجموعة تروتسكي، مجموعتنا الى الامام، البلاشفة - الحزبيون و المناشفة - الحزبيون. هذا معروف بشكل جيد لجميع الماركسيين في باريس و فينا (ذكرت على سبيل المثال مركزين من اكبر المراكز).

و هنا فان تروتسكي الى حد معين محق: فان هذا بالفعل تكتلات، انها الفوضى بعينها.

(التكتل) اي الوحده الاسمية (فالجميع في حزب واحد قولاً) اما فعليا فهم متجزئون (في الواقع كل المجموعات مستقلة و تدخل في مفاوضات و اتفاقات مع بعضها البعض، كدول ذات سيادة).

(الفوضى) اي ١. انعدام وجود معطيات موضوعية، يمكن التحقق منها، عن صلة هذه الكتل بالحركة العمالية في روسيا، و ٢. عدم وجود مواد تمكننا من الحكم على الوجه الحقيقي، الفكري و السياسي لهذه الكتل. لناخذ فترة العامين ١٩١٢ - ١٩١٣. من المعروف انها كانا عامين من الانتعاش و النهوض للحركة العمالية، حينها كان اي تيار او اتجاه جماهيري بشكل ما (و في السياسة لا يُعتبر الا الجماهيري) إلا ان اثر على انتخابات الدوما الرابعة، على حركة الاضرابات، على الجرائد العلنية، على النقابات، على شركات التأمين الخ. و طوال فترة هذان العامان، لم تظهر نفسها اي كتلة من هذه الكتل الخمس التي في الخارج باي شكل من الاشكال، في اي من مظاهر الحركة العمالية الجماهيرية في روسيا التي اشرت اليها اعلاه!

هذا - واقع يستطيع اي انسان ان يتحقق منه.

هذا الواقع يبرهن على اننا كنا على حق بنعت تروتسكي كمثل (لأسوأ بقايا التكتل).

مع ان تروتسكي قولاً، لا تكتلي، لكنه من المؤكد معروف لدى اي مطلع و لو بشكل ضئيل على الحركة العمالية في روسيا، على انه ممثل (لكتلة تروتسكي) - هنا يوجد تكتل، لوضوح العلامتين الفارقتين للتكتل: ١. اعتراف اسمي بالوحده ٢. الانعزال العملي لمجموعة. هنا يوجد بقايا للتكتل، لانه لا يمكن رؤية شئ جدي فيما يتعلق بالصلة مع الحركة العمالية الجماهيرية في روسيا.

اخيراً، يوجد هنا اسوأ نوع من انواع التكتل، لعدم وجود وضوح فكري و سياسي. لا يمكن انكار وجود هذا الوضوح لدى البرافديين [حتى عدونا الحازم مارتوف يعترف بوجود (التلاحم و الانضباط) لدينا، حول القرارات الرسمية في كل المسائل]، و لا لدى التصفويين (فوجههم واضح جداً، على الاقل لدى البارزين منهم، وجه ليبرالي واضح و ليس ماركسي).

لا يمكن انكار بعض الوضوح عند بعض الكتل المشابهة لكتلة تروتسكي، الموجودة فعلياً في وجهة نظر باريس / فيينا و ليس من وجهة النظر الروسية. مثلاً وجهة النظر الماخية لدى جماعة الى الامام؛ و الانكار الواضح لهذه النظريات و الدفاع عن الماركسية و الاستنكار النظري للتصفويين من قبل (المناشفة – الحزبيين).

لا يوجد لدى تروتسكي اي وضوح فكري و سياسي، لان امتياز (اللاتكتل) يعني فقط (الان سنرى هذا بتوسع) امتيازاً في حرية الطيران من كتلة الى اخرى و بالعكس.

الخلاصة:

١. تروتسكي لا يشرح ولا يفهم الدلالات التاريخية للخلافات الفكرية بين التيارات و الكتل الماركسية، رغم ان هذه الخلافات تملأ عشرين عاماً من تاريخ الاشتراكية الديمقراطية و تمس مسائل معاصرة (كما سنثبت ذلك لاحقاً).

٢. لم يفهم تروتسكي الخصائص الاساسية للتكتل، اعتراف اسمي بالوحدة و التجزئة الفعلية.

٣. تحت علم (اللاتكتل)، يدافع تروتسكي عن احدى الكتل في الخارج. كتلة خالية من الفكر و لا تملك مرتكزاً في الحركة العمالية في روسيا.

ليس كل ما يلعب ذهباً. في جمل تروتسكي كثير من الضجيج و البهاء، لكن كلامه
دون محتوى.

مقطف من موضوع - حول الاخلال بالوحدة المتستر بالزعيق حول الوحدة،
الاعمال الكاملة باللغة الروسية، المجلد ٢٥ ص ١٨٥ - ١٩٠.